الـدرس الـثــامــن/ التجـديـد في الـسـرد الجـزائـــري:

أولا /الـســـــرد: هو الطريقة التي يختارها المبدع أو الروائي ليقدم بها الحدث أو الأحداث للمتن الحكائي (الحكاية)، ولهذا فالسرد أشكال كثيرة: تقليدية كالحكاية عن الماضي، تتم بضمير الغائب، كما هو الحال مع رائعة (ألف ليلة وليلة) و(كليلة ودمنة) و(المقامات) بوجه عام، وطريقة جديدة تصطنع ضمير المخاطب أو ضمير المتكلم، أو استخدام أشكال أخرى كالاستباق والارتداد، وغيرها من آليات أو تقنيات السرد الجديد.

ثـانيــا/الحـدث: يعدّ الحدث في الرواية بمثابة العمود الفقري الذي تقوم عليه بنيتها، فالروائي ينتقي بعناية واحترافية فنية الأحداث الواقعية أوالخيالية التي يشكل بها الروائي نصه فهو يحذف ويضيف من مخزونه الثقافي ومن خياله الفني ما يجعل الحدث الروائي شيئًا مميزًامختلفًا عن الوقائع في عالم الواقع.

ثـالـثــا/الـزمــان: وهو من العناصر المهمة في تشكيل النّص الروائي، ومنه تنطلق أبرز التقنيات السردية، بطريقة فنية تتجسد في تقنيات أو جماليات الارتداد أو الاستباق والتسريع والاستبطاء.. .

رابعــا/ المكــان: لا يقل عنصر المكان أهمية عن عنصر الزمان، فهما متكاملان ومتداخلان فلا مكان دون زمان، ولا ينعكس، وأهم ما يميز المكان الروائي بما يسمى(**الفضاء الروائي)** الذي يشمل مجموع الأمكنة التي تظهر على امتداد الرواية، في جملة من الثنائيات الجمالية المتضادة (مغلق، مفتوح..).

خامسـا/ الشخصيات: وتمثل بصفة عامة الأفراد الواقعيين أوالخياليين الذين تدور حولهم أحداث الحكاية أو القصة على أساس أنّه لا يوجد فعل بدون فاعل، فلا يوجد أيضا سرد بدون شخصيات، كانت(رئسية أو ثانوية أو هامشية).

❖ **مرجعيـــــات الروايـــــة :** ليس من الصعب على أي متتبع دقيق لفن الرواية في جميع مراحلها وعلى اختلاف أشكاله وأنماطها وتياراتها وحداثتها، أن يصل إلى تعيين شبه دقيق لأبرز مرجعياتها تلك التي ينهل منها الروائيون موضوعات رواياتهم وأحداثها، وقضاياها وأساليب سردها، ويمكن إجمالها على نحو عام في الرؤية والقضايا والقيم التي تتحرك في منطقة(التاريخ، والأسطورة، والواقع، والسيرة الذاتية، والموروث الشعبي).

1/التاريـــــخ: يختزن(التاريخ) بأعماقه التي لا قرار لها وبسعته التي لا تحدها حدود الكثير من القصص والحكايات والخرافات والأحداث والصور والشخصيات والأزمنة والأمكنة التي يمكن استثمارها في العمل الروائي، ويحتاج الأمر هنا إلى فهم رؤية التاريخ في أحداثه وقصصه، وحكاياته

وخرافاته، وصوره من جهة، وفهم آخر مُوازٍ له من جهة أخرى، يتمثل في تشكيل رؤية خاصة للروائي، فضلا عن براعة انتقاء الأحداث، والقصص المرشحة للسرد الروائي ومنهجية التكييف والتحويل، وإعادة التشكيل التي يجب أن تحظى بها على يد روائي خبير ومحنك، يدرك أهمية هذا العمل. وربما لا نجد روائيًا أصيلاً ذا تجربة عميقة، لم ينتبه إلى أهمية المرجعية التاريخية وخطورتها، وإشكاليتها في تموين أعماله الروائية، وتزويدها بخبرة حكائية وموضوعاتية.. والكثير منهم ينوه بهذه المرجعية ويؤكد أهميتها له، ساعيًا إلى استثمار معطياتها بالطريقة التي تستجيب لرؤيته وفكرته وحساسيته في العمل الروائي.

2/الأسطـــــورة: تعدّ الأسطورة من أبرز المرجعيات التي توجهت إليها آليات الأدب الحديث بمختلف أجناسه وصنوفه وأشكاله، فهي رافد بالغ الثراء والقيمة، اشتغل عليه الشعر العربي الحديث في مطلع ثورته الحديثة، ومن ثمّ انتبهت السرديات بأنواعها كافة إلى حيوية هذا الكنز الدلالي والرمزي، والتشكيلي والتعبيري، وبدأت تستعير وتنهل منه ما يستجيب لرؤيتها النصية في كل نص سردي من نصوصها المتعددة والمتنوعة.

3/الـواقـــــع: يمثل الواقع الحقيقي مرجعية أساسية وجوهرية من مرجعيات الأعمال الإبداعية عامة والسردية الروائية خاصة، إذْ أنّ الرواية أساسًا تقوم على موازاة هذا الواقع، كتابيًا وفنيًا، وتخيليًا، وصوغ عالمها، وفضائلها استنادا إلى طبيعة صورة هذا الواقع وإشكالياته. فالواقع مؤلف من عناصر تشكيل طبيعية في الزمان والمكان والشخوص والأحداث المستمرة التي تسهم معًا في تكوين حكاية/ حكايات هذا الواقع. ومن ثمّ فإنّ الرواية هي إعادة تمثيل للواقع على النحو الذي يناسب شكل الرواية ومقولتها ونموذجها وطبيعتها ودرجة فهم الروائي نفسه، واستيعابه لحساسية العلاقة الرؤيوية بين طبيعة الواقع وتشكيلة الرواية. والبحث عن الأدوات التي بوسعه تشغيلها في هذا السياق تحت ضغط الوعي الجمالي الذي يجنح دائما في إقامة الحدود الفاصلة بين الواقع الطبيعي والروائي المتخيل.

4/السيــرة الـذاتيـــــة: تلعب السيرة الذاتية دورا أصيلاً ومركزيًا في تزويد الأعمال الأدبية والفنية عمومًا بالكثير من التجارب والموضوعات والحكايات والذكريات والأفكار والصور والمشاهد والمعتقدات والآراء الخاصة والقيم التعبيرية المتنوعة، غير أنها في الأعمال السردية ـ ولا سيما الرواية ـ تتدخل تدخلاً كبيرا، وواسعًا، وعميقًا، إذْ أنّها تنطوي عليها ممكنات سردية ثرية وخصبة لا يمكن تجاوزها لدى الروائي، وتظهر في فضائه بوصفها عامل إغراء شديد التأثير من الصعب إغفاله وتنحيته من أمام السرد الروائي السائح في ضمير الروائي، وشخصيته، وتجاربه، وزمنه، ومكانه وتفاصيل حياته بلا

حدود. إذْ تشتغل حواس الروائي ومداركه وثقافته، ورؤيته وحساسيته، وأسلوبية كتابته كلها في حالة إبداعية واحدة، وهنا لا يتمكن الروائي قطعًا من استبعاد سيرته الذاتية عن هيمنة الذات الروائية الفاعلة، الصانعة للحدث الروائي. وهنا تتمظهر خبرة الروائي، وبراعته وموهبته في طريقة التحكم في ضبط غارات السيرة الذاتية على فضاء الرواية، فمنهم من يستجيب استجابة كاملة لذاتيته، بحيث تتحول الرواية إلى سيرة ذاتية، ومنهم من يمرر بعض الأصداء أو القطع السير الذاتية عبر الشخصية أو الزمن أو المكان أو الحدث ويستخدمها في الرواية، ومنهم من يعتمد انتخاب أجزاء مهمة من سيرته الذاتية ليزج بها في فضاء عالم الرواية.

5/الموروث الشعبي: يوصف الموروث الشعبي بضروبه وأشكاله، وأنماطه وتأثيراته العميقة في الوجدان والسلوك بأنّه من أهم مصادر التشكيل الروائي المرجعي، إذْ لا تكاد تخلو رواية من روايات العصر من إفادة معينة، تحيل على مقتنيات هذا الموروث، وصيغه ومفرداته وهي بلا شك مقتنيات بالغة التنوع والتعدد، والخصب، تتصل عمليًا بكل ما يندرج في إطار الثقافة الشعبية، وما له علاقة بالتعبير الشخصي، مثل القصص والأساطير، والأغاني الشعبية والأمثال والأحاجي وغيرها من الفعاليات الأدبية والفنية التي يرثها الشعب وتنتقل فيه من جيل إلى جيل بالحفظ لا بالتدوين، وهو أيضا الطرائق الحضارية للمجتمع مثل الأدوات والصناعات والفنون والحرف اليدوية، وهو بقايا حضارية احتفظت بقيمتها الوظيفية وشكلت شاهدا ثقافيا عميقا على الرؤية الشعبية الثرية للحضارة.

❖ **التجديد في القصة الجزائرية** : اختلف الدارسون في تحديد البداية الفعلية للقصة الجزائرية فقد ذهب(عبد الملك مرتاض) إلى أن أول محاولة قصصية تعود إلى(**محمد السعيد الزاهري**) الذي نشر في سنة(1925) قصة(فرانسوا والرشيد) وقد وافقه في الرأي الباحثين الذين عدّوا(الزاهري) من خلال قصته تلك أول من بذر بذرة القصة الجزائرية العربية الحديثة.

أولا/ القصة الإصلاحية: وقد عرفت بداية هذه المرحلة المحاولات الأولى للفن القصصي على أيدي طائفة من الأدباء، ومنهم على سبيل المثال(محمد السعيد الزاهري، محمد العابد الجيلالي، أحمد بن عاشور..)، فقد سخرت لخدمة أهداف الحركة الإصلاحية، ولذلك عالجت قضايا الراهن آنذاك: قضية العلم و تعليم المرأة، تصحيح العقيدة، نبذ الجهل، محاربة البدع والخرافات.. وبذلك كان التركيز على المضمون على حساب الشكل. واستمر الوضع على حاله إلى ظهور أعمال(**أحمد رضا حوحو**) فالاستمرار كان على مستوى المضمون، بينما كان التجديد على مستوى الشكل والبناء–ولو نسبيا– حيث عني كثيرا بالشخصيات والحوار والحدث والحبكة والوصف، وعمد إلى بعض الأساليب الجديدة

كتقنية(**الفلاش باك/الخطف خلفا**) في بعض قصصه مثل:(صاحبة الوحي، التلميذ..)، كما عمد إلى أسلوب(**السخرية**)، الذي يعتبر تقنية جديدة لنقد المظاهر الاجتماعية المختلفة. وبذلك استحق أن يطلق عليه النقاد(**رائد القصة الجزائرية المكتوبة باللغة العربية في الأدب الجزائري الحديث**). وكما هو واضح أن القصة قد تأثرت بمستجدات الواقع السياسي والاجتماعي بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، وما أفرزته من وعي ويقظة، وما أفرزته من قناعات، وبالتالي نلاحظ شيئا من الجرأة في نقد الواقع السياسي والاجتماعي، كما هو واضح كل الوضوح في كثير من أعمال(أحمد رضا حوحو) القصصية.

ثانيا/ القصة الفنية إبّان الثورة التحريرية:

لقد كان للثورة التحريرية الأثر البالغ في تطور الأدب الجزائري الحديث شعرا ونثرا، أما الشعر فقد عرف تطورا ملحوظًا وملموسًا على مستوى اللغة والأسلوب والرؤية والموسيقى وحتى الشكل الحر، وكذلك (**القصة**) فقد تحررت من الموضوعات الإصلاحية، وعبرت بتفاؤل عن نضال الشعب وبطولاته وتضحياته، وصورت جرائم الاستعمار بواقعية ومثلت القيم الإنسانية السامية، هذا من حيث (المضمون) أما من حيث(الشكل) فقدعرفت: الرمز المباشر وغير المباشر وأصبحت غالبًا تميل إلى الإيحاء والتلميح والهمس والبعد عن الخطابية والمباشرة. وبدا التطور واضحًا في مراعاة سمات القصة القصيرة من تعبير عن موقف معين وإيحاء ووحدة عضوية واهتمام بالنهاية المعبرة..بالإضافة إلى ذلك فقد رعي في(الحدث) التطور وارتباطه(بالشخصية) القصصية،وأصبح(الحوار) معبرا عن(الشخصية) واقترب كثيرا من روح الفن وساعده على ذلك(اللغة) التي تطورت في ألفاظها وتعابيرها وأصبحت أداة مرنة لدى كتاب القصة الذين تثقفوا ثقافة عربية حديثة، هذا كله إلى جانب اهتمام كتاب القصة بهيكلها وبنائها.

ثالثا/ القصة الفنية بعد الاستقلال:

عرفت القصة الجزائرية مرحلة جديدة من سبعينيات القرن العشرين، حيث عرفت فيها الجزائر تحولات مست مختلف مناحي الحياة: السياسية، الاجتماعية، الاقتصادية، الثقافية، الفكرية.. وبهذا جاء الخطاب القصصي الجديد ثائرا متحررا من السكونية الماضوية، وأن يتلمس روح الإنسان في جوهره.. ولعل اعتماد الخطاب القصصي الجديد على(اللغة الجديدة التي تتخذ من الانزياح مرفأ لها هو الذي زاد من عنفوانه، وعليه فالخطاب القصصي الجديد من خلال هذا الجيل من الكتاب يمكن اعتباره بنية مؤسسة لمرحلة أخرى في القصة العربية الجزائرية المعاصرة، تخرج عن سلطة النموذج إلى فاعلية التجريب والانفتاح) انطلاقا من أساليب فنية جديدة مستمدة من الفنون التعبيرية الأخرى كالسينما، والمسرح

والشعر.. مما جعل هذه التجارب تتميز بالثراء والعمق ورحابة الأفق. أما المواضيع التي عنوا بها فهي في الغالب مستمدة من الواقع الجديد خلال مرحلة السبعينيات من القرن العشرين وما تلاها، حيث جدّت مستجدات حياتية، مما دفع بكتاب القصة الجديدة الانخراط في الواقع فنيًا وفكريًا، فعبروا عما يجري في الواقع(سياسيا، ثقافيا، اجتماعيا، فكريا..) برؤية واقعية نقدية أو اشتراكية، وبلغة شفافة أحيانًا وبلغة رمزية إيحائية أحيانًا أخرى. وما لبثت كثير من التجارب القصصية الجديدة أن تتحرر من المواضيع الاجتماعية التي تتخذ من الذات الخاصة والذات الإنسانية مدارًا لها.

❖ **التجديـــد في الـروايـــة الجزائــريـــــة:**

يشير بعض الدارسين إلى أن أول رواية في العصر الحديث، يرجع البعض بدايتها إلى سنة 1849على يد**(محمد بن ابراهيم)**، وذلك من خلال عمله السردي**(حكاية العشاق في الحب والاشتياق)** غير أنّ معظم الدارسين يعدّون رواية**(غادة أم القرى)** سنة1947(لأحمد رضا حوحو) فاتحة عهد الأدب الجزائري الحديث بالرواية. وقد شهدت بداية السبعينيات من القرن العشرين البداية الفعلية للرواية العربية الجزائرية القائمة على أصول هذا الفن، وكان ذلك مع رواية**(ريح الجنوب)** لعبد الحميد بن هدوقة، ثم رواية**(اللاز)** للطاهر وطار. ولذلك عدّت رواية(ريح الجنوب) أول رواية جزائرية ناضجة فنيًا وفكريًا، وقد ارتبطت بواقع جزائر ما بعد الاستقلال، الواقع الذي شهد تحولات مست الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية والفكرية. كما نجد رواية(اللاز) للطاهر وطار سردت واقع الثورة والثوار، وانتقدت الجانب الخفي في مسار الثورة والخلافات التي كانت بين قادة الثورة، وما نجم عنها من تصفيات وهي رواية ناضجة وناجحة وموفقة على المستوى الفني.

لم يتوقف التجديد والتجريب في الرواية الجزائرية عند هذا الحد، بل تراكم المنجز الروائي، وتعددت الرؤى والأساليب وتنوعت المواضيع، فاتسع أفق الرواية الجزائرية، وازدادت ثراء حيث استفاد الروائيون من الفنون الأخرى وتقنياتها(كاللقطة، والفلاش باك من السينما، والمشهد الحواري التمثيلي من المسرح والتحقيق والحوار الصحفي والإعلام..) كما تداخل السرد مع الشعر، إما في شكل تضمين أو اقتباس أو تحول اللغة النثرية إلى لغة ذات ظلال شعرية، وتلاحم الوصف والسرد والحوار حينًا، وتنافروا حينًا أخرى.. كما عمد الروائيون الجزائريون إلى(**تشخيص اللغة تشخيصًا رمزيًا سعوا من خلاله إلى تجاوز القواعد التقليدية والكتابة النمطية، وهي أساليب في التجريب، تؤكد ثراء الرؤى والطرائق..)**. أما من حيث المواضيع فقد تناولت مختلف جوانب الحياة:السياسية والاجتماعية والثقافية والنفسية والدينية والتاريخية..،كما واكبت مستجدات الأوضاع في البلاد وكشفت المسكوت عنه، وتناولت المحظورات

الثلاثة: الدين والسياسة والجنس، وتجاوزت أحيانًا الواقع المعيش لتفتح أفقًا على المستقبل، وأطلق على هذا النوع الروائي اسم(الرواية الاستشرافية)، كما فعل الروائي(واسيني الأعرج) في روايته(**حكاية العربي الأخير**) وغيره. ومن أبرز الروائيين: واسيني الأعرج ـ مرزاق بقطاش ـ رشيد بوجدرة ـ جيلالي خلاص محمد مفلاح ـ أحلام مستغانمي ـ فضيلة فاروق ـ بشير مفتي ـ السعيد بوطاجين ـ عز الدين جلاوجي عبد الوهاب عيساوي .. .